



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

قسم اللغة العربية

## التربية في المجتمعات البدائية (السمات والأهداف)

م.د. نزار مالك احمد

للعام الدراسي

(2026-2025)

### المحاضرة رقم (3)

م.د. نزار مالك احمد

تمثل التربية في المجتمعات البدائية المرحلة الأولى من تاريخ التعليم الإنساني، وهي المرحلة التي يمكن تسميتها بمرحلة "اليقظة العقلية"، حين أدرك الإنسان أنه لا يعيش فقط بالغريزة، بل يمتلك قدرة فريدة على نقل خبراته المتراكمة إلى الأجيال اللاحقة بصورة مقصودة وهادفة. لقد شكل هذا التحول الفارق الجوهرى بين الإنسان وسائر الكائنات الحية، إذ أصبح التعلم عملية واعية تهدف إلى حفظ النوع وضمان استمراره.

وعلى الرغم من بساطة الحياة البدائية، فإن التربية فيها لم تكن عشوائية تمامًا، بل كانت تستند إلى حاجات المجتمع وظروفه البيئية، وتسعى إلى إعداد الفرد للقيام بدوره داخل الجماعة. ولم تكن هناك مؤسسات تعليمية رسمية، لكن المجتمع بأكمله كان يقوم بدور المدرسة، وكانت الطبيعة هي الكتاب المفتوح الذي يتعلم منه الإنسان أسرار البقاء.

أولاً: الخصائص الجوهرية للتربية البدائية

اتسمت التربية في المجتمعات البدائية بعدد من الخصائص التي جعلتها فعالة ومؤثرة، رغم افتقارها إلى التنظيم المدرسي أو المناهج المكتوبة.

العفوية (غير المقصودة). 1 .

لم تكن التربية البدائية قائمة على خطط مكتوبة أو مناهج محددة، بل كانت تتم بصورة عفوية من خلال التفاعل اليومي بين الكبار والصغار. فالطفل يتعلم عن طريق الملاحظة والتقليد، فيشاهد والده أثناء الصيد أو والدته أثناء جمع الثمار، ثم يحاول محاكاة ما يراه.

كانت الحياة اليومية هي المعلم الأول، وكانت الخبرة العملية هي الوسيلة الأساسية للتعلم. ولم يكن هناك فصل بين التعليم والحياة؛ فكل نشاط يومي كان يحمل في طياته درسًا عمليًا.

البساطة والارتباط المباشر بالواقع. 2 .

تركزت التربية البدائية على الحاجات الأساسية للإنسان: الطعام، والمأوى، والحماية من الأخطار الطبيعية. لذلك كانت المعرفة المكتسبة ذات طابع عملي مباشر، تخدم البقاء والاستمرار.

فالطفل لا يتعلم مهارة نظرية مجردة، بل يتعلم كيف يشعل النار، وكيف يصنع أداة حجرية، وكيف يتتبع أثر الحيوانات. ومن هنا كانت التربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبيئة الطبيعية، إذ تحدد البيئة نوع المهارات والمعارف المطلوبة.

### المسؤولية الجماعية. 3 .

لم تكن التربية مسؤولية فرد واحد، بل كانت مسؤولية جماعية تشترك فيها الأسرة والقبيلة بأكملها. كان كل فرد كبير في الجماعة يُعد معلماً للصغار، سواء بقصد أو بغير قصد. فالقبيلة كانت تمثل المؤسسة التربوية الأولى، وكانت القيم والمعايير تنتقل من خلال المشاركة الجماعية في الطقوس والأنشطة. وقد عزز هذا الطابع الجماعي روح الانتماء والتضامن، إذ شعر الفرد منذ صغره بأنه جزء من كيان أكبر، وأن عليه واجبات تجاه جماعته.

### الطابع المحافظ. 4 .

اتسمت التربية البدائية بطابع محافظ، لأنها كانت تسعى إلى نقل التراث كما هو دون تغيير كبير. فالاستقرار كان يعني البقاء، وأي تغيير جذري قد يعرض الجماعة للخطر. لذلك كانت العادات والتقاليد تنتقل بدقة، ويُنظر إلى مخالفتها على أنها تهديد للنظام الاجتماعي.

### ثانياً: التدرج المرحلي في التربية البدائية

رغم بساطة المجتمعات البدائية، فإن التربية فيها كانت تمر بمراحل زمنية واضحة تتناسب مع نمو الفرد الجسدي والنفسي.

### مرحلة الطفولة المبكرة. 1 .

في هذه المرحلة، تركزت التربية على الرعاية الجسدية وتعليم المهارات الأساسية مثل المشي والكلام. وكان التعلم يتم بالتقليد والمحاكاة. كما بدأت في هذه المرحلة عملية غرس الانتماء للجماعة من خلال القصص والأساطير التي تُروى للأطفال.

### مرحلة الصبا. 2 .

عند بلوغ الطفل سنًا معينة، يبدأ بمرافقة الكبار في أنشطتهم اليومية. فيشارك في رحلات الصيد البسيطة أو جمع الثمار، ويتعلم كيفية استخدام الأدوات. وهنا ينتقل التعلم من الملاحظة إلى المشاركة الفعلية وكانت هذه المرحلة تمثل تدريبًا تدريجيًا على تحمل المسؤولية، إذ يُعطى الطفل مهام صغيرة تزداد صعوبة مع مرور الوقت.

### مرحلة البلوغ وطقوس العبور.3 .

تُعد مرحلة البلوغ أهم مراحل التربية البدائية. ففي كثير من المجتمعات، كانت تُقام "طقوس العبور" التي تمثل انتقال الفرد رسميًا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة أو الأنوثة. تتضمن هذه الطقوس اختبارات للتحمل والشجاعة، وقد تشمل العزلة المؤقتة أو أداء مهام صعبة. وتهدف هذه الطقوس إلى تأكيد قدرة الفرد على تحمل مسؤولياته الجديدة داخل الجماعة، وترسيخ هويته الاجتماعية.

، إلى أن هذه الطقوس لم تكن مجرد Margaret Mead وتشير الدراسات الأنثروبولوجية، مثل أبحاث احتفالات رمزية، بل كانت أدوات تربوية فعالة لتعزيز الانضباط والانتماء

ثالثًا: الأهداف الأساسية للتربية في المجتمع البدائي

كان للإنسان البدائي أهداف واضحة من وراء تربيته لأبنائه، يمكن تلخيصها في محورين رئيسيين

### الأمن الغذائي (البقاء الجسدي).1 .

كان الهدف الأول هو ضمان استمرار الحياة. ولذلك ركزت التربية على تعليم مهارات الصيد، وصناعة الأدوات، ومعرفة مواسم الزراعة البدائية، واكتشاف مصادر المياه

فالبقاء لم يكن مسألة فردية، بل مسؤولية جماعية، وكان فشل الفرد في تعلم مهارات الحياة يمثل خطرًا على الجماعة بأكملها. ومن هنا اكتسبت التربية طابعًا حيويًا لا يحتمل الإهمال

### الأمن الروحي (الطمأنينة النفسية).2 .

إلى جانب البقاء المادي، سعى الإنسان البدائي إلى تحقيق نوع من الاستقرار النفسي في مواجهة الظواهر الطبيعية التي لم يكن يملك تفسيرًا علميًا لها. فتعلم الطقوس الدينية والتعاويد والأساطير كان جزءًا أساسيًا من العملية التربوية.

كانت هذه الطقوس تمنح الفرد شعورًا بالأمان والانتماء، وتفسر له الظواهر الغامضة كالبرق والرعد والمرض والموت. وهكذا لعبت التربية دورًا في تشكيل الوعي الروحي للجماعة.

الحفاظ على تماسك الجماعة.3 .

كان الهدف الثالث غير المعلن هو الحفاظ على وحدة القبيلة واستمرارها. فالتربية غرست في الفرد قيم الطاعة والولاء والتعاون، لأن التفكك كان يعني الضعف وربما الهلاك.

رابعاً: دلالات التربية البدائية في ضوء الفكر التربوي الحديث

رغم الفارق الزمني الكبير، فإن بعض مبادئ التربية البدائية ما تزال حاضرة في الفكر التربوي الحديث. فالتعلم بالممارسة، الذي كان أساس التربية البدائية، أصبح اليوم مبدأً تربويًا معترفًا به في النظريات المعاصرة.

تعكس في جوهرها ما كان يمارسه John Dewey كما أن فكرة التعلم من خلال الخبرة التي أكد عليها الإنسان البدائي بصورة فطرية. كذلك فإن مفهوم التعلم الاجتماعي القائم على المحاكاة ينسجم مع ما عرفته المجتمعات الأولى من انتقال للخبرات عبر التقليد.

وهذا يدل على أن التربية، رغم تطورها المؤسسي، ما تزال تستند إلى أسس إنسانية عميقة تعود إلى بدايات التاريخ.

خاتمة

إن التربية في المجتمعات البدائية تمثل الأساس الذي انطلقت منه الرحلة التعليمية للإنسان. ورغم افتقارها إلى المدارس والمناهج المكتوبة، فقد كانت نظامًا تربويًا متكاملًا يخدم حاجات المجتمع ويضمن بقاءه.

لقد اتسمت بالعفوية والارتباط بالواقع والمسؤولية الجماعية، واعتمدت على التدرج المرحلي في إعداد الفرد، وهدفت إلى تحقيق الأمن الغذائي والروحي والحفاظ على تماسك الجماعة. كما تكشف دراستها عن جذور كثير من المبادئ التربوية الحديثة.

ومن هنا، فإن فهم التربية البدائية لا يعني العودة إلى الماضي فحسب، بل يعني إدراك البدايات الأولى لتشكل الوعي الإنساني، والاعتراف بأن التربية كانت - ولا تزال - حجر الأساس في بناء الحضارة الإنسانية